ضمان حقوق الطفل في السودان: التحديات والفرص في سياق حرب 15 أبريل

عادل عبد العاطي

مقدمة:

أثّرت الحرب المتواصلة بين القوات المسلحة السودانية (SAF) وقوات الدعم السريع (RSF) منذ 15 أبريل 2023 بشكل كبير على وضع الأطفال في السودان. مع دخول الحرب إلى عامها الثاني، يواجه ملايين الأطفال أزمات إنسانية خطيرة. تستكشف هذه الورقة الوضع الحالي والأطر القانونية والاحتياجات الاقتصادية والأمنية، وأهمية التأهيل الاجتماعي والنفسي للأطفال السودانيين، وتضع هذه القضايا في سياق أوسع ضمن تجارب إفريقيا والتجارب العالمية.

الوضع الحالي:

أدت الحرب في السودان إلى أزمة إنسانية خطيرة، حيث يتحمل الأطفال عبء العنف وعدم الاستقرار. يواجه أكثر من 10 ملايين طفل خطرًا فوريًا يتمثل في تهديدات لسلامتهم الجسدية وصحتهم والنفسية. أدى الصراع والعنف إلى التشريد الواسع، حيث أجبر حوالي 4 ملايين طفل على الفرار من منازلهم. يعيش هؤلاء الأطفال المشردون في ظروف قاسية للغاية، غالبًا دون مأوى كاف، أو مياه نظيفة، أو مرافق صرف صحي (الأمم المتحدة للطفولة).

تضررت خدمات الصحة بشكل كبير، حيث دُمرت العديد من المستشفيات والعيادات أو جُعلت غير قابلة للتشغيل. وهذا ما ترك ملايين الأطفال بدون إمكانية للوصول إلى الرعاية الطبية الأساسية. زاد نقص الخدمات الصحية من معدلات سوء التغذية بين الأطفال، حيث يعاني الكثير منهم من سوء

التغذية الحاد بسبب نقص الغذاء أو التغذية غير الكافية. إن الوضع متدهور بشكل خاص في مناطق الصراع حيث يصعب تقديم المساعدة الإنسانية بسبب استمرار القتال (الأمم المتحدة للطفولة).

تأثر التعليم أيضًا بشكل كبير، مع تدمير المدارس والبنية التحتية التعليمية. يوجد حاليًا حوالي 19 مليون طفل خارج المدرسة، محرومين من حقهم في التعليم. تؤثر اضطرابات التعليم ليس فقط على تعلم الأطفال الآني بل ولها عواقب طويلة الأمد على آفاق مستقبلهم والتنمية العامة للبلاد. كما زاد نقص البيئات التعليمية الآمنة من خطر تجنيدهم في الجماعات المسلحة أو تعرضهم لعمل الأطفال (الأمم المتحدة للطفولة).

تأثير الحرب على الأطفال نفسيًا خطير، مما يتطلب برامج تأهيل اجتماعي ونفسي شاملة. شهد الكثير من الاطفال عنفًا متطرفًا أو شهدوا تأثير ذلك العنف، بما في ذلك فقدان أفراد العائلة، مما أدى إلى نشوء صدمات واسعة النطاق وقلق واكتئاب شديدين. يزيد نقص الخدمات الصحية العقلية والدعم النفسي من هذه المشكلات، مما يترك الكثير من الأطفال بدون مساعدة هم أكثر من يحتاجون إليها للتعافي والتعامل مع تجاربهم (الأمم المتحدة للطفولة) (قرى الأطفال إس إس).

أثر العنف المتواصل أيضًا على هياكل الأسرة والشبكات الاجتماعية، التي تعد حاسمة لدعم وحماية الأطفال. لقد تم فصل العديد من الأطفال عن عائلاتهم، سواء أكان ذلك خلال التشريد أو من خلال تجنيد أفراد العائلة في الجماعات المسلحة. يزيد هذا الانفصال من ضعفهم وتعرضهم للاستغلال والاعتداء، بما في ذلك الاتجار بالبشر والعمل القسري (قرى الأطفال إس إس).

إن البيئة التشغيلية الصعبة والخطيرة أثرت على الاستجابة الإنسانية. يتم تقييد الوصول إلى المناطق المتضررة في كثير من الأحيان، مما يقيد قدرة منظمات المساعدة على تقديم الخدمات الأساسية والدعم لأولئك الذين في حاجة إليها. على الرغم من هذه التحديات، تواصل بعض الوكالات الإنسانية العمل بلا كلل لتقديم المساعدة التي تنقذ الأرواح، ولكن حجم الأزمة يتجاوز بكثير الموارد المتاحة (الأمم المتحدة للطفولة) (الأمم المتحدة للطفولة).

السياق الأفريقي الأوسع:

يعكس الوضع في السودان التحديات الأوسع التي يواجهها الأطفال في المناطق المتأثرة بالنزاع في إفريقيا. إن عدة دول تقدم حالات دراسة ذات صلة:

الصومال: مشابهة للسودان، عانت الصومال من صراع مستمر أثر بشكل كبير على الأطفال. أدى العنف المتواصل إلى ارتفاع معدلات تجنيد الأطفال من قبل الجماعات المسلحة، والتشريد، وتعطيل التعليم. تشمل الجهود المبذولة لمعالجة هذه المشكلات إنشاء وحدات حماية الطفل داخل الجيش وبرامج إعادة الاندماج القائمة على إعادة الأطفال الجنود السابقين للمجتمع.

ليبيريا: بعد سنوات من الحرب الأهلية، ركزت ليبيريا على إعادة اندماج الجنود الأطفال وإعادة بناء نظامها التعليمي. كانت البرامج التي توفر الدعم النفسي والتدريب المهني ضرورية في مساعدة الأطفال الجنود السابقين على إعادة اندماجهم في المجتمع والعثور على معيشة مستقرة.

سيراليون: بعد النزاع في سيراليون، نفذت البلاد برامج شاملة للتسريح ونزع السلاح وإعادة الاندماج (DDR) للأطفال المتأثرين بالحرب. تشمل هذه البرامج التعليم والتدريب المهني والدعم النفسي، وتعتبر نموذجًا للجهود المماثلة في الدول الأخرى.

رواندا: بعد الإبادات الجماعية، نظمت رواندا برامجاً لإعادة تأهيل وإعادة اندماج الناجين من الأطفال والجنود الأطفال السابقين، كما طرحت عمليات المصالحة المبنية على المجتمع وخدمات الصحة النفسية كعناصر رئيسية في هذه الجهود. مع ذلك يُصعِّب وجود نظام الحزب الواحد وحكومة الفرد الواحد وحكم الأقلية والاضطهاد الخفي لشعب الهوتو وانخراط رواندا في الحرب ضد الكنغو من هذه العملية.

أوغندا: واجهت أوغندا عقودًا من الصراع، خاصة في المنطقة الشمالية، حيث ارتكب جيش المقاومة الإلهي (LRA) جرائم واسعة النطاق، بما في ذلك اختطاف الأطفال لاستخدامهم كجنود ورقيق جنسي. نفذت

حكومة أوغندا، بالتعاون مع المنظمات غير الحكومية الدولية والمحلية، برامج DDR تركز على إعادة ادماج الجنود الأطفال السابقين. توفر هذه البرامج الدعم النفسي والتدريب المهني والتعليم لمساعدة الأطفال في إعادة بناء حياتهم. تسلط تجربة أوغندا الضوء على أهمية المشاركة المجتمعية والآليات التقليدية في عملية التعافي. مع ذلك يُصعِّب وجود نظام الحزب الواحد وحكومة الفرد الواحد وحكم الأقلية وانخراط أوغندا في العمليات العسكرية ضد الكنغو من هذه العملية.

جنوب أفريقيا: على الرغم من عدم وجود منطقة نزاع بالمعنى التقليدي، فإن جنوب أفريقيا تواجه تحديات كبيرة تتعلق بالعنف والفقر الذي يؤثر على الأطفال بشكل مباشر. كان تنفيذ المنح النقدية للأطفال وبرامج الرعاية الاجتماعية حاسمًا في دعم العائلات الضعيفة وضمان وصول الأطفال إلى التعليم والرعاية الصحية.

هذه الأمثلة تسلط الضوء على أهمية وجود منهجية مخصصة لحماية الأطفال وإعادة تأهيلهم في سياقات ما بعد النزاع. إنها تظهر قيمة دمج الاستراتيجيات القانونية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية لمعالجة الاحتياجات المعقدة للأطفال المتأثرين بالنزاع.

بعض أُطر الحلول:

يتطلب التصدي لهذه التحديات إطارًا قانونيًا قويًا يستند إلى القوانين الدولية لحقوق الإنسان والقوانين الإنسانية. يشكل جزءًا أساسيًا من هذه الاستراتيجية القانونية مراجعة وإصلاح قانون الطفل لتحسين تنسيقه مع الواقع الراهن والمعايير الدولية. كما أن التدابير الاقتصادية والأمنية حيوية أيضًا لحماية الأطفال من العنف المستمر والفقر والمجاعة. إن التأثير النفسي للحرب على الأطفال عميق، مما يستدعي برامجاً شاملة لإعادة التأهيل الاجتماعي والنفسي.

الحلول: نهج شامل وأفضل الممارسات العالمية

لمعالجة التحديات المتعددة التي يواجهها الأطفال السودانيين، من الضروري اتباع نهج شامل يدمج الاستراتيجيات المستندة إلى الأدلة والدروس المستفادة من أفضل الممارسات العالمية.

الإصلاحات القانونية

تشمل الاستراتيجيات القانونية الرئيسية للإنفاذ ما يلي:

1. **تعديل قانون الطفل لعام 2010:** مراجعة وتعزيز قانون الطفل لعام 2010 لمواءمته مع المعايير الدولية، بما يشمل أحكامًا لتعزيز حماية الطفل، والمساءلة عن انتهاكات الحقوق، ودعم الأطفال المتضررين من الصراع.
2. **الامتثال للمعايير الدولية:** ضمان أن الإطار القانوني للسودان يتوافق مع المعاهدات الدولية مثل اتفاقية حقوق الطفل والميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان ورعاية الطفولة.
3. **تعزيز الوصول إلى العدالة:** ضمان أن الأطفال المتضررين من الصراع يحصلون على الوصول إلى العدالة والتمثيل القانوني.

الدعم الاقتصادي

يعتبر الاستقرار الاقتصادي والتقدم الاقتصادي أمران حاسمان لتحسين الوضع للأطفال السودانيين. هذه التدابير ضرورية لتوفير ذلك:

1. **الأمن الغذائي:** تنفيذ برامج شاملة للأمن الغذائي لمعالجة سوء التغذية وضمان أن الأطفال وعائلاتهم يحصلون على وصول موثوق إلى الغذاء الغني بالعناصر الغذائية.
2. **الدعم المالي للعائلات والأطفال:** تقديم الدعم المالي للعائلات والأطفال من خلال سياسة الدخل الأساسي المضمون لجميع العائلات، إلى جانب دعم الطفل المالي المحدد، للتخفيف من الفقر

وتوفير الاستقرار. تم اختبار هذا النهج في عدة دول، بما في ذلك فنلندا والبرازيل، وحقق نتائج إيجابية لرفاهية الطفل.

3. **برامج التمويل الصغير:** إقامة برامج للتمويل الصغير لتمكين الآباء والمربين اقتصاديًا. لقد نجحت هذه البرامج في العديد من الدول مثل بنغلاديش، حيث أسهمت مبادرات التمويل الصغير في رفع الأسر من الفقر وتحسين وصول الأطفال إلى التعليم والرعاية الصحية.
4. **إعادة بناء البنية التحتية:** إعادة بناء البنية التحتية من خلال الاستثمارات الحكومية والدولية، بالإضافة إلى تشجيع الشراكات بين القطاعين العام والخاص للاستثمار في إعادة بناء المدارس والمرافق الصحية. لقد كانت مثل هذه التعاونات فعالة في دول مثل الهند، حيث ساهمت المبادرات العامة والخاصة في تعزيز البنية التحتية التعليمية وتحسين وصول الرعاية الصحية بجودة عالية.

تدابير الأمن

تعد التدابير الأمنية أيضًا أمرًا حيويًا لحماية الأطفال من العنف المستمر. هذه التدابير ضرورية:

1. **نزع السلاح وإعادة التأهيل والاندماج (DDR):** تنفيذ برامج DDR شاملة للجنود الأطفال. تشمل برامج DDR في كولومبيا للجنود الأطفال السابقين الدعم النفسي والتعليم والتدريب المهني، مما يسهل إعادة اندماجهم في المجتمع.
2. **المناطق الآمنة:** إنشاء وصيانة مناطق آمنة يمكن فيها للأطفال الحصول على الحماية والمساعدة الإنسانية. لقد نجح مفهوم "مناطق السلام" في الفلبين، حيث قدمت ملاذًا آمنًا للأطفال والعائلات خلال النزاعات.
3. **تدريب قوى إنفاذ القانون:** تعزيز قدرات وكالات إنفاذ القانون من خلال برامج تدريبية مركزة على حماية الطفل. لقد ساهمت البرامج التدريبية في هولندا في تحسين استجابة الشرطة للاتجار الأطفال واستغلالهم.

إعادة التأهيل الاجتماعي والنفسي

تأثيرات الحرب على الطفل نفسيًا هي بالغة الخطورة. إن التدابير التالية ضرورية لإعادة التأهيل الاجتماعي والنفسي:

1. **إعادة التأهيل القائم على المجتمع:** مشاركة المجتمعات في إعادة تأهيل الأطفال المشردين والمتضررين في أوغندا ساعدت عمليات المصالحة المجتمعية على تسهيل إعادة الأطفال الناجين من النزاع والجنود الأطفال السابقين في المجتمع.
2. **برامج تعليمية:** تقديم فصول لمواصلة التعلم وتوفير تعليم بديل لضمان استمرارية التعليم. لقد استخدمت مبادرة "المدرسة في صندوق" من قبل اليونيسيف في مناطق متضررة من الأزمات في جميع أنحاء العالم، والتي توفر اللوازم التعليمية الأساسية والدعم.
3. **خدمات الصحة النفسية:** تقديم الاستشارات وخدمات الصحة النفسية لمساعدة الأطفال على التعامل مع الصدمات النفسية. لقد دمجت برامج في إندونيسيا بعد تسونامي خدمات الصحة النفسية في المدارس، مما ساعد كثيرًا في استعادة الأطفال نفسيًا.

أفضل الممارسات من آسيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا

- آسيا: لجان حماية الطفل في تايلاند: نموذج تايلاندي للجان المحلية لحماية الطفل استجابي في تحديد ومعالجة قضايا حماية الطفل على المستوى المحلي، مما يضمن حصول الأطفال الضعفاء على الدعم والتدخل في الوقت المناسب.
- أمريكا اللاتينية: برنامج بولسا فاميليا في البرازيل: يوفر هذا البرنامج نقلًا نقديًا شرطيًا للعائلات ذات الدخل المنخفض، شريطة الالتزام بحضور المدرسة وزيارات الرعاية الصحية للأطفال. لقد ساهم بشكل كبير في تحسين صحة الطفل ونتائج التعليم.

- **أوروبا: تجربة الدخل الأساسي في فنلندا: قدمت محاولة فنلندا التجريبية في الدخل الأساسي قاعدة مالية مستقرة للعائلات، مما قلل من الفقر وساهم في تحسين الرفاهية العامة والصحة النفسية، مما له تأثير إيجابي مباشر على الأطفال.**

من خلال اعتماد هذه الاستراتيجيات المستندة إلى الأدلة والاستفادة من أفضل الممارسات العالمية، يمكن للسودان تحسين حياة أطفاله وبناء أساس لمستقبل أكثر استقرارًا وازدهارًا.

الخاتمة:

أحدث النزاع في السودان تحديات خطيرة لملايين الأطفال، مهددًا سلامتهم وصحتهم ومستقبلهم. إن نهجًا شاملاً يشمل الأطر القانونية القوية والتدابير الاقتصادية والأمنية وبرامج إعادة التأهيل الاجتماعي والنفسي ضروري. إعادة النظر في وإصلاح قانون الطفل لعام 2010 لتلبية المعايير الدولية هو خطوة حاسمة. يمكن للاستفادة من التعاون الإقليمي والاستفادة من سياقات أفريقية أخرى مساعدة في حماية وتعزيز حقوق ورفاهية الأطفال السودانيين.

المراجع:

1. الجزيرة. (2024). أكثر من 10 مليون طفل في خطر وسط تصاعد الحرب في السودان: https://www.aljazeera.com/news/2024/4/10/more-than-10-million-children-in-line-of-fire-as-war-rages-in-sudan
2. أنقذوا الأطفال. (2024). سنة الحرب في السودان: طفل واحد من بين كل اثنين في خطر. تم الاسترجاع من أنقذوا الأطفال: https://www.savethechildren.net/news/sudans-year-war-one-two-children-line-fire
3. اليونيسيف السودان. (2024). عام واحد من الحرب الوحشية في السودان: https://www.unicef.org/sudan/one-year-brutal-war-sudan

4. قرى الأطفال SOS. (2024). عام واحد على: الحرب المنسية في السودان.
https://www.sos-childrensvillages.org/news/sudan-one-year
5. اليونيسيف. (2023). تقرير سنوي لعام 2023:
https://www.unicef.org/sudan/reports/humanitarian-action-unicef-sudan-annual-results-report-2023
6. مجلة BJPsych: الدعم النفسي والصحي الاجتماعي للأطفال في مناطق النزاع المسلح: دعوة لتبني نهج نظم:
https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5618929
7. مجلة اقتصاد التنمية. (2022). تأثير التحويلات النقدية على اللاجئين السوريين في لبنان:
https://www.sciencedirect.com/science/article/abs/pii/S0304387821001590
8. المجلة الدولية للتنمية التربوية. (2021). الشراكات العامة والخاصة في التعليم: تحليل مع إشارة خاصة إلى نظام التعليم المدرسي الهندي:
https://www.sciencedirect.com/science/article/abs/pii/S0738059315300201

*** المؤلف:**

عادل عبد العاطي هو عضو دائم في المجلس الدولي لوسام الابتسامة (الذي يمنح من طرف الأطفال). وهو أيضًا زميل في معهد حقوق الطفل في وارسو ويشغل منصب رئيس حملة سودان المستقبل